ذاكرة عراقية
ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

الكرخ .. آثار باقية ورجال خالدون

كانت الكرخ في ايام ابن بطوطة في سنة ٧٢٦ هجرية من المحلات الثالثة عشرة من الجانب الغربي كل محطة منها كانت مدينة كما قال عنها الرحالة ..

وتقرن الكرخ بالشيخ معروف الكرخي ويقرن بها وهو من بغداد الكرخ كما قال الخطيب البغدادي او من سامرا الذي زعم بعضهم انه من كرخ باجدا فقد روى انه من كرخ باجدا او من كرخ جدان وهو الحد بين ولاية شهرزور والعراق واليه ينسب الشيخ معروف كما يقول ياقوت والشيخ معروف هو دفين بغداد على كل حال من الاحوال..

د. حسين علي محفوظ

كان من اكابر الرجال الصوفية ومن رجال العرفان والمشاهير كان من اصحاب الامام علي الرضا بن موسى الكاظم عليه السلام ومن خواصه ومن حجابه اسلم على يديه وكان تلميذه وكان مشهورا باجابة الدعاء وكان اهل بغداد يستسقون من قبره وكانوا يقولون.. قبر معروف ترياق مجرب.. وقال الامام الشافعي قبر موسى الكاظم ترياق مجرب لاجابة الدعاء.. ومن يستمد في حياته يستمد بعد مماته كما قال حجة الاسلام الامام الغزالي والمدد يطلبه المستغيثون والمأثور عند الصوفية ام معروف الكرخي سكر من حب الله فلم يفق الا بلقائه.. ويعد معروف الكرخي العاشر من الطبقة الاولى من طبقات الصوفية وهو من جلة المشايخ وقدمائهم عند القوم ومن المذكورين بالورع والفتوة والزهد وقد كان يلقب في بعض الاسانيد بالزاهد..

صحب الكرخي داود الطائي الكوفي الزاهد الذي كان من العلماء الربانيين في القرن الثاني.. وهو استاذ سري القسطي وسري خالد جنيد.. ومن كلمات معروف..

توكل على الله حتى يكون معلمك ومؤنسك وموضع شكواك فان الناس لاينفعونك ولايضرونك.. وقد سمعه الجنيد يقول..غضوا ابصاركم ولو عن شاة انثى وهذا يعني منتهى العفة والحياة..

وتوفي معروف الكرخي سنة ٢٠٠ هجرية وفي تاريخ وفاته روايتان اخريان ودفن في بغداد وقبره يزار حتى اليوم والناس يتبركون بزيارته وقال السلمي ان قبره يستشفى به.. واوصى معروف في مرض موته ان يتصدقوا بقميصه فانه اراد ان يخرج من الدنيا عريانا كما دخلها عريانا وهذا معناه انه لايملك غير قميصه شأنه شأن الصوفية والزهاد والعباد من قبله..

واما دار العلم بسور الحلاويين بين السورين في الكرخ فقد اسسها الوزير ابو نصر ٤١٦هجرية وزير بهاء الدولة بين السورين سنة ٣٨١ هجرية وبين السورين محلة كبيرة كانت بالكرخ وكانت من احسن المحلات بالكرخ واعمرها..

وابتاع ابو نصر دارا بين السورين وعمرها وبيضها وسماها دار العلم ووقفها على اهله ونقل اليها كتبا كثيرة ابتاعها وجمعها وعمل بها فهرستا وكلف الخوارزمي العناية بها.. كانت دار العلم كلها بخطوط الائمة المعتبرة واصولهم المحررة وقد احترقت فيما احرق من محلات الكرخ عند ورود طفرل بك سنة ٤٤٧ واحترقت بقيتها في سنة ٤٥١ هجرية..وكان الناس يهتمون بدار العلم ويحرصون على حفظ مؤلفاتهم فيها ففي التواريخ ان ولي الدولة ابن خيزران الكاتب ٤٣١ هجرية صاحب ديوان الانشاء بمصر ارسل بعض زوار بغداد (جزاين) من شعره ورسائله ليعرضها على الشريف المرتضى غيره من رؤساء البلد ويستشيرها في تخليدها في دار العلم لينفذ بقية الديوان ورسائله ان علم ان ما انفذه ارتضى في بغداد .. وكان العمري معجبا بدار العلم وكان يؤثر الاقامة بها وقد اقدمه الى بغداد مكان دار الكتب بها كما كتب الى خاله.. وقد كتب الى اهل المعرة لما عزم على الرجوع الى بلده واحلف ماسافرت استكثر من النشب أي المال ولا اكتثر بلقاء الرجال ولكن اثرت الاقامة بدار العلم فشاهدت انفس مكان ولم يسعف الزمان باقامتي فيه ..

والسيدان الشريف الرضي ٤٠٦ والشريف المرتضى ٤٣٦ هجري كانا بيتهما في الكرخ سيدا الناس وعلامتا بغداد وبهما فخر العراق وفخر كل من نطق الضاد .

اما الرضي.. فكان الشريف الاجل وهو ذو المنقبتين ذو الحسبين وامير الحج ونقيب الطالبيين ثم ولي امور الطالبيين في جميع البلاد ودعي نقيب النقباء وقد ولي ديوان المظالم ..

وكان المرتضى من مشايخ العلم الكبار في بغداد وقد قال فيه ابن بسام كان هذا الامام الشريف امام ائمة العراق بين الاختلاف والاتفاق اليه فزع علماؤها وعنه اخذ علماؤهم صاحب مدارسها وجمع شارد وانسها مما سارت اخباره وعرفت اشعاره وحمدت في ذات ماثره الى توالفه في الدين وتصانيفه في احكام المسلمين ممن يشهد انه قرع تلك الاصول ومن اهل ذلك البيت الجليل ..

وفي الكرخ كان كرسي الشيخ تلميذ المرتضى صاحب الفهرست والرجال والامالي والتفسير وغيرها من المؤلفات التي قاربت الخمسين وهو استاذ العلماء الذي وصل فضلهم ستة وثلاثين ..

ومن معالم الكرخ مدارسها واهمها مدرسة الشيخ صندل ومدرسة جامع القمرية ومدرسة مسجد السيف ومدرسة جامع الحنان والمدرسة العمرية ومدرسة السويدي في مسجد خضر الياس ومدرسة جامع الحاج امين ..

واذا جاوزنا المدارس ودور العلم والمعاهد والخزائن ودور الكتب فقد ادركنا قهوة البيروتي قرب الجسر التي اسست في القرن الماضي وادركنا مهرجانات عامة في بغداد على مدى الاسبوع وكان نصيب الكرخ منها الاحد والاربعاء والخميس في المشاهد والمزارات العامة..

ومن بيوت الكرخ القديمة بيت جدنا السيد جواد البغدادي وهو والد السيد هاشم ابو الورد جد السادة الور دية في الكاظمية..

واذا حافظ معروف الرصافي على النسبة الى الرصافة فاحياها واحبته فقد احتفظ الملا عبود الكرخي سنة ١٩٥٥ بالنسبة الى الكرخ وقد سمى مطبعته مطبعة الكرخ وسمى صحيفته صحيفة الكرخ ولاننسى جريدة صدى الكرخ سنة ١٩٢٨ ..

وفي الكرخ اليوم العديد من الافاضل وفيها جمهرة من بقايا البيوتات القديمة الكريمة من ذكرهم الاستاذ المرحوم ابراهيم الدروبي في اثناء كتابه الجامع النفيس (البغداديون اخبارهم مجالسهم)..

ومن صور الكرخ الفاضلة الجميلة المهتمة بالادب والتراث الاخ الصديق الاستاذ عبدالحميد العلوجي والولد البار الاستاذ عبد الحميد الرشودي والاخ الاستاذ حسين الكرخي بقية المرحوم الاستاذ الملا عبود الكرخي..

ومن البيوتات القديمة في الكرخ بيت السيد كبة من ربيعة وقد كانت دارهم في بغداد القديمة سنة ٣٣٤ هجرية على دجلة بمشرعة القصب كما ذكر ابن خلكان في وفيات الاعيان..

متى عرف العراقيون التلغراف ؟

عندما حدثت ثورة الهند عام ١٨٥٧ شعر الانكليز بحاجة ماسة لمد خط تلغرافي يصل لندن بالهند عبر البلاد العثمانية فتم الاتفاق بين الدولتين على قيام المهندسين البريطانيين بمد الخطوط التلغرافية بين تركيا والعراق وفي اوائل عام ١٨٦١ نصب اول خط بالعراق بين الموصل وبغداد في صيف ذلك العام تحقق الاتصال التلغرافي بين بغداد واسطنبول ثم صارت شبكة الخطوط التلغرافية تتشعب وتمتد في مختلف انحاء العراق واول امتداد لها كان باتجاه البصرة عبر المنتفق واول مخابرة تلغرافية بين بغداد والبصرة جرت في ٢٨ كانون الثاني من عام ١٨٦٥ ثم امتدت الخطوط بهاتفين الى ايران وكربلاء والنجف والى الكوت والعمارة وبدرة ومندلي وما حلت نهاية القرن التاسع عشر حتى كانت الدوائر التلغرافية مفتوحة في جميع البلدان العراقية المهمة ..

قابل العراقيون التلغراف بدهشة اشد من تلك التي قابلوا بها البواخر وقد ذهب الكثير من عقلائهم الى عدم التصديق به فليس من المعقول ان يصل الخبر من استنبول الى بغداد بلحظة مع العلم ان المسافر يقطع المسافة بينهما بعشرين يوما او اكثر .. ويحكى ان احد وجهاء كربلاء كان في بغداد عندما وصل اليها خط التلغراف أول مرة فلما عاد هذا الى كربلاء اخذ يتحدث عن هذا الاختراع الحديث وكيف ان الانسان يستطيع ان يدق على حديدة في بغداد فيسمع الناس صوته في اسطنبول فظن الناس ان هذا الشخص قد اعتاد على تعاطي الخمرة في بغداد فصار سكيرا لايعي ما يقول .. وكان استعمال التلغراف اول مرة مقصورا على المخابرات الحكومية ولم يكن الاهالي يستعملونه الا نادرا ثم اعتادوا على استعماله تدريجيا فيما بعد وقد ادرك الاهالي بمرور الزمن ان التلغراف يمكن استعماله في رفع شكاواهم الى الوالي ببغداد او الى السلطان باسطنبول ومن هنا صار مأمور التلغراف ذا مركز مرموق في نظرهم فهم يسرعون اليه حين يتذمرون من معاملة احد الموظفين لهم وتراهم حينئذ يقفون على رأسه ويدفعون له الاجور المقررة ويطلبون منه ابراق شكاواهم الى المراجع المختصة حالا .. ومن الطرائف التي يتناقلها اهل النجف ان نفرا من الاهالي ارادوا ابراق شكواهم ضد احد الموظفين فقدموا الى مامور التلغراف رشوة لكي يكون دقة على الالة شديدة ظنا منهم ان الدق الشديد اسرع واشد تأثيراً يمكن القول بوجه عام ان التلغراف كان له الاثر غير القليل في تدعيم السيطرة الحكومية وفي تغلغلها في المناطق النائية من العراق فقد صار في وسع الحكومة حشد القوات العسكرية وتوجيهها بوجه المتمردين بسهولة ووقت اقصر ولهذا كانت العشائر تنظر الى خطوط التلغراف نظرة عداء وريبة فهم لايكادون يعلنون عصيانهم الى الحكومة حتى يسارعوا الى تلك الخطوط ويقطعوها ويحطموا اعمدتها انهم يحسبونها بمثابة الجاسوس الذي ينقل اخبارهم الى الحكومة..

يروي عبد العزيز القصاب قائممقام في السماوة عام ١٩١٠ ان جماعة من العصاة العشائريين هجموا على محطة التلغراف وكسروا الالة التي فيها حيث وصفوها بانها (تكرش) عليهم أي انها تنقل اخبارهم الى الحكومة وتنم عليهم .. ومن الجدير بالذكر ان خطوط التلغراف في العراق كانت معرضة الى الانقطاع بين الفينة والاخرى وذلك بسبب ما اعتاد عليه العراقيون من تحطيم كل شيء يعود الى الحكومة ونهبه شوهد احد المسافرين عام ١٩١٣ وهو يتسلق عمودا للتلغراف يقطع اسلاكه وينهبه فهي في رأيه تنفع بربط الاحمال على الدواب فهذا الشخص لايبالي ان يضر بمصالح الحكومة والناس ويربك اعمالهم من اجل شيء تافه او لعله يتعمد ذلك تبعا لما يقوله المثل الدارج شعرة من جلد خنزيروما زالت هذه العادة موجودة بين الكثيرين منا انها من بقايا تراث من البدوي القديم ..

احتلال الموصل

أنزل لجمن العلم العثماني ورفع العلم الانكليزي مكانه

وفي يوم الاول من تشرين الثاني ١٩١٨ اعلنت بنود الهدنة التي انعقدت في جزيرة (موندروس) بين الجنرال (طاوزند) الانكليزي وبين ممثلي الاتراك في الحكومة المركزية باستنبول.. وعلى اثرها اصدر القائد علي احسان باشا اوامره برجوع الموظفين العسكريين والمدنيين الذي غادروا الموصل بالعودة اليها حيث كان يؤمل بالاحتفاظ بهذه المدينة. كما اعطى اوامر الى القوات المرابطة في موقع القيادة بالانسحاب الى داخل الموصل..

بينما واصلت القوات البريطانية تقدمها الى موقع (البوسيف) على بعد زهاء (٣ كم) من جنوب الموصل.

وفي صباح اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني، اتى الى الموصل (الكونونيل لجمن) وتواجه مع القائد علي احسان باشا في موقع (البوسيف) وطلب القائد المذكور من علي احسان ان يخلي الموصل عملاً بالمادة السادسة عشرة من بنود الهدنة، فرفض علي احسان باشا هذا الطلب راجعا الى المدينة وامر في الحال برفع الاعلام العثمانية على جميع المباني الحكومية.

ولما علم (الجنرال فانشو) القائد العام للقوات الانكليزية في جبهة الموصل بوضع الاعلام التركية مجددا على دور الدولة، اصدر الاوامر الى (الجنرال كوب) في ٣ تشرين الثاني ١٩١٨ بالزحف على الموصل واحتلالها وفي ذلك الوقت كان الكولونيل لجمن قد سبقه الى الثكنة العسكرية وصعد على سطحها وامر الجندي الذي كان معه بانزال العلم العثماني من فوق بنايتها واعطاه علما انكليزيا رفعه مكان العلم العثماني.

وكان الجنود الانكليز ومعظمهم من -الهنود) فوق ظهور الخيل معطفة على جانب الطريق الممتد من باب الثكنة الى موقع الغزلاني فالبوسيف.

ثم طلب الجنرال كوب من القائد علي احسان باشا بالانسحاب من الموصل، وعده مسؤولا عن كل ما يحدث في حالة بقاء الجيش التركي فيها. فابرق القائد علي احسان الى المراجع العليا في استانبول.. مشعرا اياها بهذه التطورات.. فتلقى امرا من المقر العام باخلاء المدينة على ان يشغلها الانكليزعسكريا بصورة مؤقتة وان يبقى الموظفون والمدنيون في مراكزهم يزاولون اعمالهم.. فانسحب القائد علي احسان باشا بكامل جيشه في يوم ٥ تشرين الثاني ١٩١٨ ودخلت مدينة الموصل تحت الاحتلال البريطاني.

نوّاب سنة 1942 يطلبون الانضمام إلى معاهدة الأطلنطي

في ١٤/ آب/ ١٩٤١ أعلنت أمريكا وبريطانيا ميثاق الاطلنطي (الأطلسي) الذي حدد تصور الدولتين لحالة الحرب العالمية الثانية ضد دول المحور (ألمانيا وحلفاؤها) ومبادئ العالم الجديد وقد كان هذا الاعلان الأساس لتصريح انشاء الأمم المتحدة وقد ابان الاعلان عدم وجود مطامع للدولتين وإنهما لاتريدان وقوع تغييرات اقليمية كما تؤكدان احترام حق الشعوب في اختيار شكل الحكم والعمل على القضاء على العهد النازي (نحو ما ورد في الاعلان!) وفي ١٢/ ١١/ ١٩٤٢ أصدر مجلس النواب اقتراحاً يتضمن الانضمام الى هذا الاعلان وقد وقع هذا الاقتراح من أعضاء مجلس النواب:

نواب بغداد: عارف حكمت وحسن السهيل وسليمان الشيخ داوود وبهجت زينل.

ونواب أربيل: صديق ميران وابراهيم يوسف وحمدي سليمان.

ونواب المنتفك (الناصرية): محمد حسن حيدر وقاطع البطي وثامر السعدون.

ونواب ديالى: بهاء الدين سعيد وسليمان شريف ومحمود النعمة وجميل عبدالوهاب.

ونواب البصرة: عبدالوهاب وحامد النقيب وعبود الملاك ومحمود النعمة وحميد الحمود.ونواب الديوانية: فريق المزهر ورايح العطية.

ونواب كربلاء: حسين النقيب وأحمد عبدالوهاب.

ونواب الحلة: سلمان البراك وعبدالهادي الظاهر ومحمد باقر الحلي وصادق حبة.

ونواب العمارة: ماجد القره غولي وعبدالرزاق منير وقاسم الخضيري.

ونواب الدليم (الأنبار): مشحن الحردان ومصطفى السنوي.

وقد حصل هذا التغيير في الموقف العراقي بعد عودة الأمير عبدالاله الوصي على العرش والاطاحة بالتغيير الذي حصل سنة ١٩٤١ في حركة مايس من تلك السنة التي قادها العقداء الأربعة الذين قطعوا علاقتهم مع بريطانيا وأيدوا دول المحور في حربها مع بريطانيا حيث أطبقت القوات البريطانية الموجودة في منطقة (سن الذبان) اي الحبانية على القطعات العراقية إذ (هرب) العقداء الأربعة من هذه المعركة الى بغداد والى شمال العراق والى خارج العراق.. وبعد رحلة طويلة في دول أجنبية متعددة تمت اعادتهم الى العراق لتتم محاكمتهم أمام المحكمة العسكرية وإصدار أحكام الاعدام بحقهم وتنفيذها..

والعجب والعجاب في حركة مايس ان القائد المدني الذي كان قد قاد الحركة مع العقداء الاربعة لم يغادر العراق وانما بقي حيث تم القبض عليه واصدار حكم الاعدام بحق يونس السبعاوي المدني المحامي على الرغم من ان زملاءه العسكريين تركوا الجيش والحكومة والعراق وغادروا الى خارج العراق.. وقد قيض لنا القدر ان نطلع على بعض أوليات التحقيق مع العقداء الأربعة فوجدنا ان التحقيق تعلق بأكثره على الجانب العسكري وليس الجانب السياسي فقد كان العديد من أسئلة المحقق حول المعركة والهروب والقليل منه كان عن الحركة السياسية والاطاحة بالنظام السياسي.